# أثر العبادات في السلوك

١٧ يوليه ٢٠١٥م

## العناصر :-

١. ثمرة العبادة في الإسلام .
٢. فضل السلوك الحسن في الإسلام .
٣. منهج الإسلام في تربية المسلم على السلوك الحسن .
٤. أثر السلوك الحسن على الفرد والمجتمع .

## الأدلة من القرآن والسنة:

**أولاً: الأدلة من القرآن:**

١) قال تعالى: {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ}[العنكبوت: ٤٥].

٢) وقال تعالى : {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة: ١٨٣] .

٣) وقال تعالى : {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [التوبة: ١٠٣] .

٤) وقال تعالى:{الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ} [البقرة: ١٩٧] .

٥) وقال تعالى:{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } [الأعراف: ١٩٩] .

٦) وقال تعالى :{وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا }[الإسراء: ٥٣] .

٧) وقال تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الفتح: ٢٩] .

٨) وقال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: ١٥٩] .

**ثانياً : الأدلة من السنة :-**

١) عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : ما ضرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بيده خادماً له قط ولا امرأة ، ولا ضرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا خير بين أمرين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما إلا أن يكون إثمًا ، فإذا كان إثماً كان أبعد الناس من الإثم ، ولا ينتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه حتي تنتهك حرمات الله عز وجل فينتقم لله ". (رواه البخاري).

٢) وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : « أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ »؟ قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ ، فَقَالَ : « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِى يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِى قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِى النَّارِ ». (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح).

٣) وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : ( لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِطَعَّانٍ ، وَلاَ بِلَعَّانٍ ، وَلاَ الْفَاحِشِ الْبَذِيءِ) . (راوه أحمد بإسناد صحيح ).

٤) وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه ) قَالَ : قَلَّمَا خَطَبَنَا نَبِيُّنَا (صلى الله عليه وسلم) أَوْ قَالَ النَّبِىُّ (صلى الله عليه وسلم) إِلاَّ قَالَ فِى خُطْبَتِهِ : « لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ » . (صحيح ابن حبان وأحمد بإسناد حسن)

٥) وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه ) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : "حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ ". (رواه أحمد بإسناد حسن).

٦) وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : " إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ". (رواه البزار وأبي يعلي).

٧) وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه ( رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : " رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ ، وَإِذَا اشْتَرَى ، وَإِذَا اقْتَضَى" . (رواه البخاري).

٨) وعن عُمَرَ بْن أَبِي سَلَمَةَ يَقُولُ : كُنْتُ غُلاَمًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ ، فَقَال لِي رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : " يَا غُلاَمُ سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ " (رواه البخاري ) .

**الموضـــوع** :-

لقد انتهي شهر رمضان وانقضت أيامه ولياليه وودعه المسلمون وقلوبهم ما زالت آسفة لفراقه ورحيله ؛ لأنه عمّر قلوبهم بالإيمان وصفت فيه نفوسهم ، وأخلصوا لله فيه العمل ، نعم لقد انقضي رمضان وربح فيه من ربح وخسر فيه من خسر ، فهنيئا لمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا ، ويا حسرة من ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ، وليس له من قيامه إلا التعب والسهر .

وليعلم العبد أن للطاعة علامات يعرف منها قبولها ، من هذه العلامات أن يوفق العبد لطاعةٍ بعدها ، وأن تكون أعمال العبد خالصةً لله ، والخوف من عدم القبول ، وعدم الرجوع إلي الذنب بعد الطاعة ، ومن بين هذه العلامات أن يظهر أثرها على المسلم في سلوكه وأخلاقه ومعاملاته مع الخلق ، وفي مراقبة الله ، لأن الطاعة من وسائل تزكية النفس وتطهير القلب وسلامة الصدر ، وكلما ازداد المسلم طاعةً ازداد علمًا وعملاً وهدي ، قال تعالى { وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا } [النور: ٥٤] ، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}[محمد: ١٧] ، فالمجتمع الذي يداوم أفراده على الطاعة تضعف فيه نوازع الشر ويحصن من الفساد ، وذلك لأن العبادات تهذب الأخلاق وتقوم السلوك وتروض الجوارح ، ومن ثم ينصلح حال الفرد وتسمو المجتمعات.

إن الغاية المنشودة من العبادات هي تحسين السلوك وتزكية النفوس بالأخلاق وتقوية صلة الإنسان بربه وخالقه وبمن يعيشون معه ، فالصلاة مثلاً تنهى عن الفحشاء والمنكر ، قال تعالى: {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} [العنكبوت: ٤٥] ، والزكاة تطهر النفس وتزكيها من أدران السلوك وضغائن الأحقاد ، قال تعالى:{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[التوبة: ١٠٣] .

– والصوم يدعو إلى تقوى الله في السر والعلانية وفي الظاهر والباطن من السلوك والأعمال والاعتقاد ، قال تعالى : {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٣] غير أنه يدرب المسلم على الصبر ومحاسن الأخلاق .

- والحج كذلك يغرس في نفوس المسلمين الفضائل والسلوك القويم ، قال تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ} [البقرة: ١٩٧] فالعبادات لها الأثر الجميل في تحسين سلوك العباد .

وإن المتتبع لنصوص الشريعة الإسلامية يجد أنها اعتنت بتقويم سلوك الإنسان من حيث كونه إنسانًا كرمه الله عن باقي المخلوقات ، قال تعالى :{ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ } [الإسراء: ٧٠] ، ولننظر إلي قوله تعالى وهو يأمر نبيه (صلى الله عليه وسلم) بتقويم السلوك العملي حيث قال:{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } [الأعراف: ١٩٩] أي عليك بالرفق بالمؤمنين والمعروف الجميل من الأفعال وعدم مقابلة السفهاء الجاهلين بمثل صنيعهم وفعلهم والصبر على سوء أخلاقهم ؛ لذلك حين نزل قوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } [الأعراف: ١٩٩] قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " إن مكارم الأخلاق عند الله أن تعفو عمن ظلمك ، وتصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، ثم تلا النَّبِيّ (صلى الله عليه وسلم) الآية " ( الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٦/ ٧١٢) عن ابن مردويه عن أنس) .

ولقد جاءت الشريعة الإسلامية بأحكامها وعباداتها لتهذب السلوك وتقومه وتسمو بالنفس إلى أعلى درجات الرقي والتحضر وحسن التعامل مع الآخرين ، وهذا كله ثمرة العبادات . ولما كان النبي (صلى الله عليه وسلم) أعبد الناس وأتقاهم لله وأخشاهم له كان أحلم الناس ، وألينهم قولاً، وأطهرهم فعلاً وخلقاً ، فكان الإسلام بعباداته وأخلاقه يتمثل في سلوكه وأفعاله ، لذلك لما سئلت عائشة (رضي الله عنها) عن خلق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قالت : " كان خلقه القرآن" . فكان نعم الأسوة ونعم القدوة فالسلوك الحسن القويم يفتح مغاليق القلوب ، ويورث المحبة والمودة ويدل على سمو الدين ورفعته ، ولهذا قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " ليس المؤمن بطعان ولا لعان ولا الفاحش ولا البذيء ".

إن السلوك الحسن يكشف عن مدى تديُّن الإنسان وتعبده لربه ، ولهذا نجد الناس لا يحبون العابد المتكبر ، ولكن يحبون العابد المتواضع البسام الهين اللين ، وهذا ماكان عليه نبينا (صلى الله عليه وسلم) حيث قال سبحانه: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: ١٥٩].

ولو تتبعنا أخبار الأمم والأمصار التي دخلت في الإسلام معظمها لم تكن بالفتح ولا بالغزو، ولكن بسلوك المسلمين ومعاملاتهم ، إن المسلمين الذين فتحوا بأخلاقهم ومعاملاتهم دولاً كاملة كدول جنوب شرق آسيا وكثير من دول إفريقيا يستطيعون اليوم بأخلاقهم أيضًا أن يفتحوا العالم.

ومن ثم فيجب على المسلم ألا ينشر الكراهية والعنف والإرهاب والسب واللعن في أوساط الناس ، فهذا مالا يقبله الإسلام ولا يقره ، ولا تقبله النفوس المؤمنة ، وإن ما نراه اليوم من نشر العنف والإرهاب والتفجيرات وترويع الآمنين وما يصاحبه من تشويه الحوائط بالكتابة عليها بألفاظ نابية لا تتفق وأخلاق الإسلام .

إن ضبط السلوك مع الناس من الدين ، بل هو الدين ، قال أَنَس بْن مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَلَّمَا خَطَبَنَا نَبِيُّنَا (صلى الله عليه وسلم) إِلاَّ قَالَ فِى خُطْبَتِهِ : « لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ » فكان يكررها (صلى الله عليه وسلم) في خطبه ليؤكد هذا المعنى في نفوس المسلمين .

وإذا نظرنا إلي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نجده ضرب أروع الأمثلة في السلوك القويم بالتزام العهود والمواثيق ، وعوّد أصحابه على ذلك ، ورباهم عليه ، في صحيح مسلم أن حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) أخبر: أن قريشاً أخذوه هو وأبا حُسَيْلٍ قبل غزوة بدر قبل أن يدخل المدينة ، فقالوا لهما : إ نكم تريدون محمداً ! قالوا : ما نريد إلا المدينة . يقول حذيفة (رضي الله عنه) : فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلي المدينة ولا نقاتل معك يا رسول الله . فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (انصرفا نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم ) (رواه مسلم)، مع أنه (صلى الله عليه وسلم) كان في أشد الحاجة للرجال ليقاتلوا معه ضد المشركين . هذا هو وفاء المسلمين مع غير المسلمين ، فما بالكم بوفاء المسلمين مع المسلمين .

ومن جمال سلوكه (صلى الله عليه وسلم) ما روته عائشة (رضي الله عنها) قالت : ما ضرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم ) بيده خادماً له قط ولا امرأة ولا ضرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم ) بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا خير بين أمرين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما إلا أن يكون إثما ، فإذا كان إثماً كان أبعد الناس من الإثم ولا ينتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه حتى تنتهك حرمات الله عز وجل فينتقم لله". (رواه البخاري )، لذا كان للإيمان الأثر الأكبرُ في سلوك المسلم وأخلاقه، وفي تذكره مراقبةَ الله له، وتذكره الآخرة .

فالإيمان يعتبر الوسيلة الأولى في تزكية النفس، وتأتي بعد الإيمان بالله أنواع العبادات في تزكية النفس ، وفي تذكره مراقبة الله له ، فهي وسائل مساعدة ، فقد فرضها الله لتذكر المسلم

في كل حين بارتباطه بالله ، طاعة ورغبة ورهبة ، وأنه بحاجة إلى هذه الصلة في سرَّائه وضرَّائه. فالصلاة بسجودها وركوعها وأذكارها تطهِّر النفس من التكبر على الله ، وتذكِّر النفس بالاستقامة على الطريق المستقيم ، وتنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ، يرجع منها إلى أفضل حالة من الإيمان واليقين بالله ، فهذا معنى قوله: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وإلا فلا قيمة للصلاة ، وروى أنس بن مالك ( رضي الله عنه )قال: كان فتى من الأنصار يصلي مع النبي (صلّى الله عليه وسلم) ، ولا يدع شيئا من الفواحش والسرقة إلا ركبه ، فذكر للنبي (صلّى الله عليه وسلم) فقال: « إن الصلاة ستنهاه » فلم يلبث أن تاب وصلحت حاله، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وسلم): « ألم أقل لكم؟ ». ( التفسير المنير ) .

وفي جانب الكلمة أمر الله عباده أن يتخيروا من الألفاظ أحسنها ، ومن الكلمات أجملها حتي تشيع الألفة والمودة قال تعالى: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا} [الإسراء: ٥٣] ، ولم يبح الله عزو وجل الجهر بالسوء من القول إلا في أحوال محددة كحالة التظلم ، قال تعالى : {لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا} [النساء: ١٤٨]

وفي جانب التعامل في المجتمع المسلم بين الجيران والأقارب والضيوف والأرحام جعل الإسلام المعاملة الحسنة علامةً على قوة الإيمان وقرب العبد من ربه، قال (صلى الله عليه وسلم): " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ ."رواه البخاري.

وفي جانب المعاملات المالية كانت دعوة الإسلام إلى التعامل الحسن من التسهيل والتيسير والأمانة والوضوح والصدق، فعنْ أبي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنْ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: "كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ؛ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ"، وفي رواية لمسلم: " قال اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ". رواه البخاري ومسلم.

وهذا الإمام أبو حنيفة النعمان -رحمه الله- يوصي عماله وغلمانه في متجره بأن يبينوا للناس عيوب بضاعته إذا وُجدت ؛ لأن ذلك من الدين ومن المعاملة الحسنة التي أمر بها الإسلام، فالمسلم الذي يضع جبهته في المسجد ساجدًا لله يستحي من الله أن يغش خلقه، والأمة التي يعيش أبناؤها على الخيانة والغش أمة معرضة للانهيار والسقوط.

وفي جانب إدارة الأعمال والوظائف وتولي أمور الناس غرس الإسلام في نفوس أتباعه الرقابة الذاتية، ودعاهم إلى معاملة الخلق بسهولة ويسر وإرادة الخير لهم ، فقال تعالى:{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] (التوبة:١٠٥]، وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به". رواه مسلم.

وفي جانب الحروب والعلاقات الدولية دعا الإسلام أتباعه إلى المعاملة الحسنة، فأسّس الإسلام مبادئ ووضع آدابًا وضوابط للعلاقات وللحروب والغزوات لم تعرفها الأمم مسبقًا من الرحمة بالأسير، وعدم التمثيل بالمقتول ، وعدم قطع الأشجار وعدم قتل الشيوخ وهدم الصوامع، فلم نسمع أو نقرأ أن جنود الإسلام قد أقاموا المعتقلات ، وصنعوا الأغلال والأصفاد للأسرى ؛ لاستجوابهم والتحقيق معهم والتنكيل بهم ، بل كان الأسير عند المسلمين يظل له كيانه الإنساني وحقوقه الفطرية من المطعم والأمان والكساء والدواء.

فهذا صلاح الدين الأيوبي –رحمه الله– يسير ذات يوم في بعض طرقات مدينة بيت المقدس وقد نصره الله، فقابله شيخ مسيحي كبير السن، وقال له" :أيها القائد العظيم: لقد كتب لك النصر على أعدائك، فلماذا لم تنتقم منهم، وتفعل معهم مثل ما فعلوا معك؟! فقد قتلوا نساءكم وأطفالكم وشيوخكم عندما غزوا بيت المقدس"، فقال له صلاح الدين" :أيها الشيخ: يمنعني من ذلك ديني الذي يأمرني بالرحمة بالضعفاء ، ويحرّم على قتل الأطفال والشيوخ والنساء." فقال له الشيخ" :وهل دينكم يمنعكم من الانتقام من قوم أذاقوكم سوء العذاب؟"!، فأجابه صلاح الدين" :نعم، إن ديننا يأمرنا بالعفو والإحسان ، وأن نقابل السيئة بالحسنة ، وأن نكون أوفياء بعهودنا، وأن نصفح عند المقدرة عمن أذنب ."فقال الشيخ" :نِعْمَ الدين دينكم ، وإن دينًا فيه مثل هذه الأخلاق يعلو ولا يُعلَى عليه ."وأسلم الرجل وحسن إسلامه ، وأسلم معه كثير من أبناء قومه.

يقول روجيه جار ودي – وكان فيلسوفًا شيوعيًّا قبل إسلامه–: "كنت مع مجموعة الجنود الفرنسيين الذين كانوا يحاربون المسلمين الجزائريين في ثورة الجزائر عام ١٩٦٠م، وتم القبض على بواسطة مجموعة من المجاهدين المسلمين، وسلموني إلى أحدهم ليتولى إعدامي في الجبل ، وحين انفرد بي سألني: "هل معك سلاح؟! فقلت له: لا ، ليس معي سلاح ، فقال: وكيف أقتل رجلاً ليس معه سلاح؟! وأطلق سراحي. قال جارودي: وبقيَتْ هذه القصة تتفاعل في ضميري سنين كثيرة ، حتى قمت بدراسة الإسلام فأيقنت أن هذا المجاهد كان ينطلق

في تصرفه معي من واقع العقيدة والأخلاق الإسلامية ، فكان لهذا الحادث أثره البالغ في إسلامي الذي هز العالم بأسره."

في جانب الدعوة والبلاغ تخيّر الإسلام للتعامل مع المدعوين أفضل الطرق وأرأفها وأرحمها، قال تعالى:{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ }النحل:١٢٥]، هذا هو الدين الذي ينبغي أن نلتزمه، وهذه هي المعاملة التي ينبغي أن نطبّقها سلوكًا في واقع حياتنا.وإن الإسلام الذي ينتشر في قارات ودول العالم، ما كان له أن ينتشر بعد فضل الله وتوفيقه لو لم يكن أصحابه وحملة رسالته من الدعاة والعلماء والمجاهدين والتجار والمسافرين على قدر من الخلق الحسن والمعاملة الراقية والسلوك القويم.

وإن الانحسار في فهم الدين ، ووصفه بما ليس فيه ، وصدود الناس عنه في كثير من مناطق العالم اليوم إنما يعود جزء من أسباب ذلك إلى تشويه أبنائه له بضعف الالتزام به تارة ، وبسوء الخُلق والمعاملة غير الحسنة مع بعضهم ومع غيرهم تارة أخرى.

فالإسلام ينبغي أن نفهمه على أنه عقيدة راسخة، وعبادة صحيحة، ومعاملة حسنة ، سواء بسواء، ومتى ما طغى جانب على حساب جانب آخر ظهر الانفصام في حياة المسلمين، فيكون المسلم في وادٍ والإسلام في واد آخر ، فيحدث الخلل وتظهر التناقضات وتسود الفوضى، ويحل الشقاء، ويظهر الإفلاس الحقيقي؛ إفلاس القيم والأخلاق والمعاملة الحسنة، عندها لا تنفع صلاة ولا زكاة ولا صوم ولا حج ولا غير ذلك من العبادات إذا فسد سلوك الفرد وساءت معاملته للآخرين ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنْ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : "هَلْ تَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ؟"!، قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا – يَا رَسُولَ اللَّهِ– مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ . قَالَ : " إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصِيَامٍ وَصَلاةٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، فَيُقْعَدُ، فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ مِنْ الْخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ " (رواه مسلم).

فلنحسن علاقتنا بربنا، ولنتعامل بأخلاق ديننا، ففي ذلك الفلاح في الدنيا والآخرة، ولنحذر من سوء المعاملة، فإنها تُفسد العمل مهما عظم.

فاللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.